



# شهريات

## مع ثلوج بلغاريا

قضيت الاسبوع الاخير من الشهر الماضي في زيارة ساحرة لبلغاريا ، بدعوة من لجنة الصداقة البلغارية والعلاقات الثقافية مع الخارج . ومصدر السحر في هذه الزيارة يكمن في الطبيعة وفي البشر .

للمرة الاولى في حياتي انفتحت اسبوعا كاملا وسط طبيعة بيضاء تقيم فيها الثلوج مملكة عجيبة يخضع فيها كل شيء لسultan هذا الندف الابيض يكسو الاشجار والقباب والقرميد والشوارع والبشر والطيور . .

صحيح ان اللبني يستطيع ان يرى الثلج في جبل الارز وفي مناطق اخرى . ولكن ذلك يقتضيه ان ينتقل الى تلك المناطق ويعد العدة وينتظر الفرصة لينعم بالثلج . اما هنا ، في قلب العاصمة صوفيا ، فان الثلج هو الذي يأتي اليك ، يعيش على نافذتك ، ويقتحم غرفتك اذا اردت ان تفتح شبابكها ، ويتراكم عند مدخل باب بيتك او فندقك . فتعمل على ازاحته بكل صبر ومراعاة ، ويتساقط على شعرك واجفانك وأنفك ، ويدخل في فمك اذا شئت ان تكلم رفيقا لك : فتحسّه يذوب على لسانك كقطعة سكر لذيدة . . واذا استطاع المرء ان يتخلص من الحاح هذا الضيف لمدة ساعات ، فهو واثق من انه سيزوره مرة اخرى في الليل ، وانه سيعسكر ثانية صباح اليوم التالي بجيوشه على الابواب والنوافذ والاشجار ، ويصرّ على الا يجلو عن هذه المناطق المحتلة الا حين يجلو الشتاء . . وهو لا بد- باق ، مع ذلك ، فترة من الربيع حتى لا يسمح للناس ان ينسوه بسهولة .

وانا جالس الآن ، اكتب هذه الكلمات ، أتمتع عبر نافذة غرفتي في فندق البلقان بتساقط الثلج الذي كانت الجرافات قد اجلته طوال يوم امس عن الطرق ، فعاد يريق عليها طوال الليل اطنانا من النضاعة والبياض . . وانظر الى الساحة القائمة تجاه الفندق ، فأرى الصبية والاولاد يتراشقون بالثلج او يتزحلقون عليه باقدامهم او يركبونه على عربات صغيرة ، وهم يتصايحون ويعدّ بعضهم لبعض مكائد واحابيل تكون فرصة جديدة للضحك والصراخ .

انطلق الى الاولاد واذكر ان الثلج لم يوفرنني مساء

الامس من طيشه . . فهو اذا ما اتى الليل واشتد البرد تجمّع في الطرقات زجاجا خطرا لا ينكسر قبل ان يكسر من يطاه بغير مراعاة . وبالرغم من ان رفيق السفر خليل نعوس امين سر لجنة الصداقة اللبنانية البلغارية يعرف مخاطر الثلج المتجمد ، فقد نسي ذات لحظة ان يظلّ متشبثا بذراعي ليميني من السقوط اذا حدث التزحلق . . ولم يحسن بتراخي ذراعه عن ذراعي الا حين انزلت الارض تحت قدمي . . وبدلا من ان يشدّتي شددته ، وبدلا من ان يقيني السقوط سقط فوقي ، فكان الالم مزدوجا : بفعل الارض التي تلقت ظهري ، وفعل الجسم الذي تلقاه صدري واقسم انه لا يقل عن مئة كيلو غرام ، وان كان خليل يزعم انه لا يزيد عن ستة وتسعين !

نهضت وانا اشعر بأثار عدوان الطبيعة والبشر على جسمي الضعيف ، ووقف خليل ينظر اليّ في الظلام ، فأرى على وجهه امارات الاسى والاسف ويرى على وجهي علامات الالم والوجع . . ولم ينته هذا المشهد الا حين انفجرت ضاحكا ، فسرتي عن خليل وانفجر بدوره ضاحكا ، ومضينا نتابع الطريق ، وابتهلت الى خليل ان يترك ذراعي ، باعتبار ان سقوطي وحدي اقل خطرا من سقوطي معه . . ولكنه تجاهل ابتهالاتي واخذ يشدّ ذراعي باحكام كأنه يكبلني بقيد من حديد !

على ان من الظلم للثلج ان اتفاضى عن حسنة من حسناته اصابني بالخير . فان هطوله الذي لم ينقطع والذي افسد برنامجا لزيارة مدن بلغارية عديدة ، بسبب قطعه للطرق ، الزمني غرفتي ساعات طويلة لم اجد افضل من ان اقصيها في كتابة قصة جديدة كانت ظروف العمل في بيروت تحرمني من الانصراف لكتابتها . ومما اذكره للثلج كذلك انه اغرق ذات صباح سيارة نستقلها لزيارة جبل رائع في ضاحية صوفيا . وكنت في السيارة اعالج في ذهني مشكلة فنية استعصت عليّ في القصة وكنت لا اجد لها حلا . . وترجلنا من السيارة المنحرفة في ساقية يكسوها الثلج ، وبدأ السائق يضع الخطط لاجراج السيارة من الورطة . كان هو يعمل في ذلك ، وكان ذهني يعمل في القصة ، او في المشكلة العارضة . واصبت بالذهول حين لاحظت ان المشكلة انحلت عندي ساعة انحلت مشكلة السيارة بخروجها سليمة من الساقية !

اسرعت الى انجلو ، سائق السيارة ، فعانقته وقبلته

... وشعر بالخجل من ذلك فقال :

– العفو يا سيدي . . ان هذا امر عادي . . وكثيرا ما نحلّ هذه المشاكل بسهولة ، وفي لحظات :  
فلت له :

– ولكن الامر عندي ليس بهذه السهولة يا انجلو !

ورويت له الحكاية ، فزاد احمراره وقال :

– يسعدني جدا أن أكون قد ساعدتك في حل هذه المشكلة !

ثم صمت قليلا وقال :

– حين تعرض لك مشكلة جديدة في القصة .  
فاخبرني يا سيدي ، حتى اسقط السيارة في ساقية اخرى!  
ضحكت مرافقتنا اللطيفة زفيتازفيتوفا ، وهي  
مستشارة في لجنة الصداقة البلغارية ، وقالت :

– نستطيع أن نعيك انجلو بصفة « مستشار فني  
لمشكلات التكنيك الفصفي » !

وانتهز فرصة الحديث عن مشكلة السيارة هذه  
لانتقل الى الحديث عن « العلاقة البشرية » لدى البلغاريين .  
فقد تجتمع حول السيارة حين انحرفت الى الساقية كثير  
من سكان تلك الناحية والمتزلجين والجنود المارين هناك ،  
وأخذوا جميعا يفكرون في ايجاد المخرج ، كأنما المشكلة  
مشكلة كل منهم ، وحثا يتوقف جميعا على تعاونهم . .  
وكان ثمة صعوبة بالطبع لاجراج السيارة الثقيلة بواسطة  
الدفع او حتى الحمل . ومرت بعد لحظات سيده كانت  
تنزلج ، فطلبت من الحضور ان ينتظروا . وان هي الا  
دقيقتان حتى عادت مع زوجها بسيارتهما التي وقفت  
بشكل معاكس لسيارتنا ، ثم ربطت السيارتان بسلك  
حديدي متين ، وأنفق الجميع على لحظة واحدة يدور فيها  
محركا السيارتين ورفع السيارة المأزومة ودفعها ! وكان  
اكثر ما مسّ قلبي ، وانا اشارك في هذا العمل بدافع من  
خجل الامة يدي بالمعونة ، ولو على سبيل الرمز ، اني  
وجدت على مقربة من يدي يدا صغيرة ، نظرت فرايت ان  
صاحبها طفلة لا تتجاوز السادسة تحاول هي ايضا دفع  
السيارة الثقيلة ووجهها يطفح بهجة وسرورا !

ان روح التواصل والتعاون – هذه التي تكاد تنطفئ  
حتى في أوطاننا الشرقية – تتجلى في كثير من مظاهر  
الحياة البلغارية ، حيث اتيح لي ، على الرغم من قصر المدة ،  
ان اقف على نزعة للود والصداقة والتكاتف تبلغ حدّ  
الفروسية تشدّ بين موظفي اللجان ، وخدم المطاعم على  
حد سواء . ولعل هذا التعاضد هو السرّ في نهضة بلغاريا  
الحديثة التي تحوّلت في سنوات قليلة من بلد فقير الى بلد  
مزدهر قوي الصناعة منتعش الزراعة والاقتصاد .

ولا شك في ان مصدر ذلك تلك الصيغة المثالية التي  
توصلت اليها بلغاريا منذ نصف قرن تقريبا عندما تضافرت

جميع قواها العمالية والفلاحية وقطاعاتها المختلفة على  
نحوين « الجبهة الوطنية » لدحر الفاشية والامبريالييه  
واقامه الوحدة الديموقراطية .

وعد حدثني في ذلك مطولا السيد لاليسو غانتشيف  
السكرتير العام للمجلس الوطني للجبهة الشعبية ، ووجدت  
ان بإمكاننا في الوطن العربي كنه ان يعيد أكبر انعاده من  
هذه الصيغة وان تتجمع القوى الوطنية والتعمدية ، ولا  
سيما في لبنان ، في جبهه صامدة واحدة ، يسعها ان  
تواجه بالتعاون والتعاضد كل اخطار الرجعية والتخلف .

وهناك نقطة اخرى اثلجت مني الصدر لدى الدين  
لقيتهم في صوفيا على مستوى القيادة السياسية والثقافية .  
هي ان دعمهم لنضال الشعوب العربية يرتكز على ايمان  
صادق وعميق بعدالة هذا النضال وعلى ادانه كامله للعدوان  
الامبريالي والصهيوني على الامة العربية والشعب  
الفلسطيني . وقد كنت سعيدا بالتعرف على السيد  
جورجي بوكوف رئيس تحرير جريدة « قضية العمال » التي  
هي أكبر جريدة يومية ( ٧٦٠ الف نسخة ) واستمعت الى  
آرائه عن المشكلة الفلسطينية واتفقت معه على اصدار  
الطبعة العربية من كتابه « الصهيونية بلا أفعه » الذي  
سيصدر بالبلغارية في الصيف القادم ، ونأمل ان تصدر  
طبعته العربية في الوقت نفسه .

وعلى سعيد التعاون البلغاري العربي ، حضرت  
جلسات مناقشة وتوقيع البروتوكول الخاص بين لجنة  
الصداقة البلغارية والعلاقات الثقافية مع الخارج وبيس  
ممثل لجنة الصداقه اللبنانيه البلغاريه ، وهو  
ينظم تدعيم كل مظاهر التعاون بين البلدين بما يضمن  
توثيق العلاقات بين الشعبين . وسرني ان يكون نائب رئيس  
لجنة العلاقات هو الشاعر نينونيكولوف الذي تتحدث  
الاوراسط الادبية عن ديوان شعري هام له ارجو ان اطلع  
القراء العرب على نماذج منه في المستقبل .

والحق اننا تحدثنا مع الشاعر نينوكوف وفاسيل  
ميشيف رئيس قسم العلاقات مع البلاد العربية ومستشار  
اللجنة للشؤون العربية السيد سكارلاتوف عن وسائل تدعيم  
التعاون الثقافي بين بلدينا ، كما تحدثنا مع ممثلي اتحاد  
الكتاب البلغاريين عن عقد علاقات وثيقة مع اتحاد الكتاب  
اللبنانيين ، وترجمة آثار لكتابتنا الى اللغة البلغارية  
وترجمة آثار بلغارية الى اللغة العربية .

هذه لمحة سريعة عن زيارة قصيرة ساحرة قمت بها  
الى بلغاريا ، البلد الصديق الذي يفتح صدره وقلبه للعرب  
عامه وللبنانيين خاصة ويمدّ يدا كريمة للتعاون ينبغي ان  
نصافحها بكل حرارة واخلاص .

سوسيل دريسين